

**بيع وعتق رقاب الجاريات
في العصر الإسلامي
في ضوء نصوص البرديات العربية**

بقلم

سعيد مغاوري محمد

أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية المساعد
رئيس قسم الإرشاد السياحي - كلية السياحة
جامعة المنوفية

oboeikan.com

بيع وعتق رقاب الجاريات في العصر الإسلامي في ضوء نصوص البرديات العربية

تمهيد:-

عرفت المصادر العربية الجارية بأنها الأمة لجريها مستسخرة في أشغال مواليتها، والأصل فيها الشابة لختها، ثم توسعوا حتى سموها كل أمة جارية وإن كانت عبورًا لا تقدر على السعى تسمية بها كانت عليه، والجمع فيهما الجوارى^(١).

ومن ناحية أخرى أوضحت أيضا بعض المعاجم العربية معنى كلمة (الرق) بمعنى المملوك وجمعها "رقيق"^(٢)، كما عرفها أيضا صاحب "المصباح المنير" بقوله: "الرق بالكسر العبودية، وهو مصدر رق الشخص يرق من باب ضرب فهو رقيق، ويطلق الرقيق على الذكر والأنثى وجمعه أرقاء، وقد يطلق على الجمع أيضا فيقال عبيد وليس في الرقيق صدقة أى في عبيد الخدمة"^(٣).

أيضا أرى أنه من الضروري التمييز بين مصطلح "رقيق" أو "عبد" slave وبين مصطلح "قن" serf، وبالتالي بين مصطلح "عبودية" Slavery ومصطلح "قنانة" serfdom فالرقيق يرغم على القيام بعمل إجباري غير مشروع، تتفاوت مشقته وقسوته حسب رغبة سيده، وتربطه في أغلب الأحيان علاقة أبدية به، كما أن وضعه لا يسمح

(١) أحمد بن محمد المقرئ: المصباح المنير - طبعة مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٧م ص ٣٨.

(٢) الرازى (محمد بن أبى بكر الرازى): مختار الصحاح طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦م ص ٢٥٣.

(٣) المقرئ: المصدر السابق ص ٩٠.

له بأن يطالب بأن يوفر له قدر معقول من التأمين والحماية ضد هذا الاستخدام غير المشروع من جانب مالكه.

أما "القن" فهو حالة أنصاف الأحرار وأشباههم، أيضا ظهرت فروقا جوهرية بين الرقيق والقن، فالرقيق يتحول بالاسترقاق إلى مال يتصرف فيه مالكه، مثلما يتصرف في ممتلكاته فله أن يبيعه أو يؤجره، وأن يرهنه وأن يوصي به، وفي حالة وفاته تؤول إلى سيده ممتلكاته، إن كان يملك شيئا، كما تؤول إليه كذلك زوجته وأطفاله، فالرقيق لا يحصل على مقابل لخدماته، بل إنه في الشرائع القديمة "قبل الإسلام" كان يحرم من حقه في الحياة ومن حقه في الزواج، ولكنه كان يستكثر بالتوالد كالأنعام، ولم يكن نسله ينسب إليه، وإنما كان هذا النسل ينسب للسيد، على حين أن "القن" لم يكن مملوكا للمالك، ولا هو سلعة تباع وتشترى، كما أن له حقوقا وولايته على ممتلكاته الشخصية وكذلك على زوجته وأطفاله معترفًا بها، وإذا مات مالك الأرض التي يعمل فيها "القن" أو قام هذا المالك ببيعها، فإن الوريث أو المالك الجديد يملك الأرض ولا يملك "القن"^(١).

الرق في العصر الإسلامي

عرف العرب الرق قبل الإسلام وكان بعضهم يمارس تجارة الرقيق بنوعيه الأبيض والأسود، وكان الرقيق الأبيض عندهم مختلف الأجناس وإن كان أقل أهمية من حيث العدد من الرقيق الأسود. جدير بالذكر أن المتاجرة بالرقيق الأبيض عند العديد من القبائل العربية كانت لها جذورها القديمة، فقد كانوا يشترون السبي من العبرانيين^(٢) ويستوردونه من فلسطين، ثم ينقلونه إلى بلادهم للاستفادة منه فيتخذون الإماء الجميلات زوجات لهم والقويات للخدمة، ويكلفون الذكور من الرقيق بالأعمال المختلفة التي تحتاج إلى قوة وذكاء ومهارة وفن. ولعل الدليل على ذلك ما ورد في الإصحاح الثالث من التوراة في قوله: "وابيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهودا ليعبوهم للسبيين لأمة بعيدة، لأن الرب قد تكلم"^(٣).

(١) د. أحمد فؤاد بليغ: مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة - طبع المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة. ٢٠٠٣م ص ٣٠-٣١.

(٢) د. توفيق بن عامر: الحضارة الإسلامية وتجارة الرقيق خلال القرنين الثالث والرابع - طبع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - تونس ١٩٩٦م ص ٢٨.

(٣) التوراة - الإصحاح الثالث (٨) يوثيل.

جدير بالذكر أيضا أن العديد من القوافل التجارية العربية التي كانت تجوب بلاد اليمن والشام في رحلتى الصيف والشتاء التي وردتا في سورة (قريش) في قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۖ إِلَيْلَفُهُمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١) صدق الله العظيم.

كانت هذه القبائل والوفود التجارية تعود بالعديد من الأسارى البيض من أصل فارسي أو رومي لتبيعهم في بعض المدن بالحجاز، وكانت هذه العمليات التجارية يمارسها تجار الرقيق، وذلك منذ قصة يوسف عليه السلام والتي كشفت عن بيع سيدنا يوسف ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٢).

ولقد استمرت تجارة الرقيق إلى قبل ظهور الإسلام بسنوات قليلة، وقد ساعد على نشاط هذه السلعة دور قبيلة قريش التجارى آنذاك، حيث كانت تقوم بدور الوسيط التجارى بين البلدان الواقعة شمالي الجزيرة العربية وبين عرب الجنوب، كما كان للإمارات العربية الواقعة شمال الجزيرة العربية والمواليه للسلطة الفارسية والرومية مثل إمارة الغساسنة والمناذرة^(٣).

ولم يكن الرقيق الأبيض عند العرب قبل الإسلام من أصل عجمي فحسب، بل كان لديهم رقيق عربي الأصل ناشئ من غارات القبائل على بعضها بعضاً، وقد يكون لهذا الرقيق مصادر أخرى غير الغارات إلا أنه لا حجة لدينا على وجود استرقاق بسبب الديون أو على بيع الأطفال من قبل عائلاتهم سوى بعض الأخبار التي أوردها صاحب كتاب "الأغاني" والتي لا يمكن اعتبارها مستنداً قطعياً لأنه يوردها في سياق المعاملات التي كانت تعتبر مستكرهه^(٤).

أمثلة على الرقيق لدى العرب

من أبرز الأمثلة على وجود الرقيق الفارسي "الأبيض" لدى العرب - سلمان الفارسي وصهيب الرومي - فسلمان الفارسي كان من أهل أصبهان، وأن أباه كان دهان قريته،

(١) سورة قريش "القرآن الكريم".

(٢) القرآن الكريم - سورة يوسف. آية رقم (٢٠).

(٣) د. توفيق بن عامر: المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) مقال للمستشرق برنشفيك Brunschvig عن "عبد" دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٢٥.

وتذكر الروايات التاريخية أنه انتقل إلى الشام، ثم اتصل بنفر من بنى كلب كانوا تجارًا فأعطاهم بقره وغنمه على أن يحملوه إلى بلاد العرب.

فكما وصلوا به إلى وادي القرى ظلموه وباعوه إلى يهودى من بنى قريظة فاشتراه منهم وحمله إلى المدينة المنورة^(١).

ومما يروى أيضا أن سألًا مولى أبى حذيفة بن عتبة .. أصله من إصطخر وكان مملوكًا لبشينة امرأة أبى حذيفة^(٢)، جدير بالذكر أيضا أن المناذرة بالحيرة كان لهم حظًا من هذا الرقيق، وكان فى قصورهم مغنون ومغنيات يجلبونهم ويغالون فى أسعارهم^(٣).

ومن ناحية أخرى أورد المؤرخ البلاذرى روايات تشير إلى وجود الرقيق الأبيض عند العرب، وذكر منهم الأزرق والدنافع بن الأزرق الخارجى، وقد كان عبدًا روميا حداثًا. كما أورد أيضًا ذكرًا لعبد رومى بالطائف يقال له عبيد تزوج سمية أمة الحارث بن كلدة الثقفى طبيب العرب^(٤).

كما أورد ابن هشام فى سيرته ذكرًا لغلام كان رفيقًا لعتبة وشيبة ابنى ربيعة يقال له "عداس" وكان نصرانيًا من منطقة نينوى^(٥).

كذلك تشير بعض المصادر العربية إلى رواج القيان الروميات فى بلاط الغساسنة، وقد وصف حسان بن ثابت مجلسًا من مجالس جبلة بن الأيهم أيام كان أمير الغساسنة فقال: "لقد رأيت عشر قيان: خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط وخمس يغنين غناء أهل الحيرة أهدهن إليه إياس بن قبيص وكان يفد إليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها .." ^(٦).

جدير بالذكر أيضا أن مكة المكرمة "بلد الله الحرام" كان بها عددًا لا بأس به من العبيد، حيث كانت بمكة المكرمة جالية من تجار الروم والأقباط يجلبون إليها عدة بضائع

(١) ابن هشام: سيرة ابن هشام طبع مصر سنة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٤ م ص ١٤٢.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ المدن الإسلامى - الجزء ٤ ص ٢١.

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية ص ٢١٦.

(٤) البلاذرى: أنساب الأشراف ص ٤٨٩ - ٤٩٠ ..

البلاذرى، فتوح البلدان ج ١ ص ٦٥.

(٥) ابن هشام: المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٢.

(٦) الأصفهاني: الأغاني ج ١٦ ص ٢٦ طبعة بيروت سنة ١٩٥٦ م.

ومنها الرقيق وكانت تفرض عليهم الضرائب والعشور^(١)، وقد اتخذ بعض هؤلاء الروم موالى من أشرف مكة مثل: نسطاس مولى صفوان بن أمية ويوحنا مولى صهيب الرومى، وكان صهيب نفسه قد أسر بأرض الروم فاشترى منهم ثم أسلمهم^(٢). وتدل أخباره على وجود أمثاله من أسرى الروم عند العرب وعلى طريقة اقتنائهم^(٣). ويروى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أطلق على صهيب الرومى "سابق الروم" كما أطلق على بلال الحبشى "سابق الحبشة". جدير بالذكر أن صهيب الرومى كان مولى لعبد الله بن جدعان حسب ما تذكره بعض الروايات وكان رجلاً أحرَّ شديد الحمرة، اشترته قبيلة كلب ثم باعته بمكة المكرمة^(٤).

أما بالنسبة للنساء، فهناك سمية أم عمار بن ياسر التى كانت مولاة لأبى حذيفة ابن المغيرة عم أبى جهل وقد قتلها أبو جهل بعد الإسلام فاعتبرت أول شهيدة فى الإسلام^(٥). ويذكر عنها أنها كانت تركية الأصل وقعت فى الأسر خلال الحروب التى دارت بين الترك والفرس، ثم طوحت بها الانتقالات إلى مدينة الطائف^(٦) فاستقرت بها فترة من الزمن قل أن تأتى إلى مكة المكرمة.

ولقد احتوت العديد من نصوص البرديات العربية وبعض أوراق الكاغد معلومات بالغة الأهمية عن بيع وعتق وتجارة الرقيق فى العصر الإسلامى - بداية من القرن الهجرى الأول حتى نهاية القرن الخامس - الحادى عشر الميلادى. أغلب هذه النصوص محفوظة فى العديد من المجموعات العالمية، وعبر هذه الدراسة سنتناول نماذج مختارة منها.

بيع وعتق الرقاب فى نصوص بعض البرديات العربية وأوراق الكاغد

هناك العديد من نصوص ووثائق عتق ورقاب الجاريات وكذلك أوراق الكاغد المعنية ببيع وشراء الجاريات والعبيد فى العصر الإسلامى خلال القرون الأولى للهجرة.

- (١) الأزرقي: أخبار مكة طبع مكة المكرمة ١٣٥٢ هـ ج ١ ص ١٠١، قطب الدين النهروالى: الإعلام بإعلام بيت الله الحرام تحقيق وستفلد Wustenfled طبع ليبزج leipzig سنة ١٨٥٧ م ص ٥٠.
- (٢) ابن هشام: المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٠ - طبعة القاهرة ١٩٥٥ م.
- (٣) د. توفيق بن عامر: المرجع السابق ص ٢٩.
- (٤) الذهبى: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٠ - ١٦.
- (٥) السهيلي "أبو القاسم": الروضى الأنف ج ١ ص ٢٠٣.
- (٦) البلاذرى: أنساب الأشراف ص ٤٨٩.

من هذه الوثائق النادرة - ورقة كاغد محفوظة حاليا في متحف الفن الإسلامى بالقاهرة - تحمل رقم سجل (p.cairo, Mus.isl.21191)^(١) مؤرخة بشهر ربيع الأول سنة ٣٦٧ هـ/ ٩٧٧م. أطوالها ٣١ × ١٥ سم تكشف هذه الوثيقة استقدام الجاريات من منطقة القرم في آسيا إلى المنطقة العربية، وكذلك وجود وصف كامل لهذه الجارية (فهي سوداء إلى الحمرة)، ثم هي (معتدلة القامة) إلى غيرها من الصفات التى سيرد ذكرها في نص الوثيقة. أيضا ورد بالوثيقة معلومات عن سعر وبيع هذه الجارية ولقد وصل سعرها إلى (٢٥ دينارًا) - ثم يلاحظ وجود عدد (٧) شهود حضروا بيع هذه الجارية.

نص الوثيقة

١- وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الحمد لله أسأله رحمة من عنده وتوفيقا .
ثبتت.

- ٢- بسم الله الرحمن الرحيم اشترت بمصر
- ٣- فاطمة ابنة نصر المنجج من أحمد بن عمران الطحان
- ٤- ساكن بالموقف بالطحانين جارية في يديه مقررة له
- ٥- بالملك تدعا توفيق قومية سودا إلى الحمرة معتدلة
- ٦- القامة كشفا نايئة الجبهة بلجا عينا فطسا غليظة
- ٧- الشفتين مثقوبة السفلى منها قصيرة الذقن منكسر
- ٨- الثمن خمسة وعشرين دينارًا معزیه الجعل منها تقابضا
- ٩- وتفرقا عن تراض منهما بيع الإسلام وعهدته طهارة
- ١٠- وسلامه برى البايع من سحاجة يديها ورجليها وشيب
- ١١- رأسها وقلع أضراسها وذلك يوم الخميس لثمان
- ١٢- خلون من شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وثلثمائة
- ١٣- شهد بذلك أحمد بن سعد المعنى وعلى بن الغريب
- ١٤- وميمون بن نصر المؤدب وموسى بن اسحق الجوهري

١٥- وحجاج بن أحمد وخلف بن خلدون وعلى بن بشر الصفدي.

وثيقة رقم (٢)

هذه الوثيقة محفوظة في مجموعة (ميخائيل شارتا) برقم سجل (Cp.cam.Mich. ch.Bö48)، أطوالها ٥, ٥×١٢, ٥سم، يلاحظ أن نص هذه الوثيقة جاء خاليا من الأوصاف التي سبق ذكرها في الوثيقة السابق ذكرها. فلم يرد وصف جسمها ولا هيئتها وإنما ورد جنسها فهي (نوبية) - أو (عجمية)، ثم ورد ذكر سعرها وهو (٥, ١٦) دينار. أيضا ورد ذكر اسم السيدة التي اشترت هذه الجارية وهي سيدة اسمها (عالية ابنة الحسين).

نص الوثيقة

- ١- حسبي الله وكفى
- ٢- بسم الله الرحمن الرحيم
- ٣- هذا ما اشترى أبو
- ٤- عيسى بن محمد لعاليه
- ٥- ابنة الحسين بهاها
- ٦- وسمها من أحمد
- ٧- المغربي جارية سودا
- ٨- عجمية الثمن ستة
- ٩- عشر دينار ونصف
- ١٠- بيع البراه من كل عيب
- ١١- ظاهر وباطن وذلك
- ١٢- في شوال سنة
- ١٣- عشر والحق
- ١٤- لا جنون ولا غش ولا
- ١٥- دعوا ... فيه.

٢- وثيقة بيع جارية سوداء نوبية

هذه الوثيقة النادرة محفوظة حالياً فى مجموعة (لوند) بفرنسا برقم سجل (p.lond.inv.oV.4684) أطوالها ٢٦ × ٢١ سم كشفت هذه الوثيقة معلومات عن شراء بعض الأقباط للجاريات وفق شريعة الإسلام، مع وجود عدد (٤) شهود مسلمين على عقد بيع هذه الجارية النصرانية ووصفت بأنها "وصيفة عجمية".

نص الوثيقة

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢- هذا ما اشترى مينا بن جرجة التطونى من عيسى بن إسماعيل الأوابى المزنى
- ٣- (اشترى منه وصيفة) سودا نوبية عجمية بثلاثة عشر ديناراً معسولة
- ٤- (عز) يزيه وتضمن عيسى بن إسماعيل لمينا بن جرجة لا نهب ولا سرقة
- ٥- بيع المسلم من المسلم لا [عدة فيه ولا] شرط قبض عيسى بن (إسماعيل).
- ٦- من مينا بن جرجة جميع الثمن تاماً وافياً وهى ثلاثة عشر ديناراً وقبض مينا بن جرجة
- ٧- هذه الوصفية العجمية وهى يوم ايز نصرانية وذلك يوم السبت
- ٨- لسبع ليل خلون من شهر رمضان الجارى فى سنة اثنين وسبعين وثلثمائة
- شهد إبراهيم بن هرون بن حسان على إقرار البائع والمشتري بجميع ما فيه وكتب بخطه
- ٩- شهد على بن رزق بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه
- ١٠- شهد عبد الصمد بن يونس (بجميع ما فى) هذا الكتاب وكتب بخطه
- ١١- شهد عبد الرحمن بن المبارك بجميع ما فى هذا الكتاب وكتب بخطه.

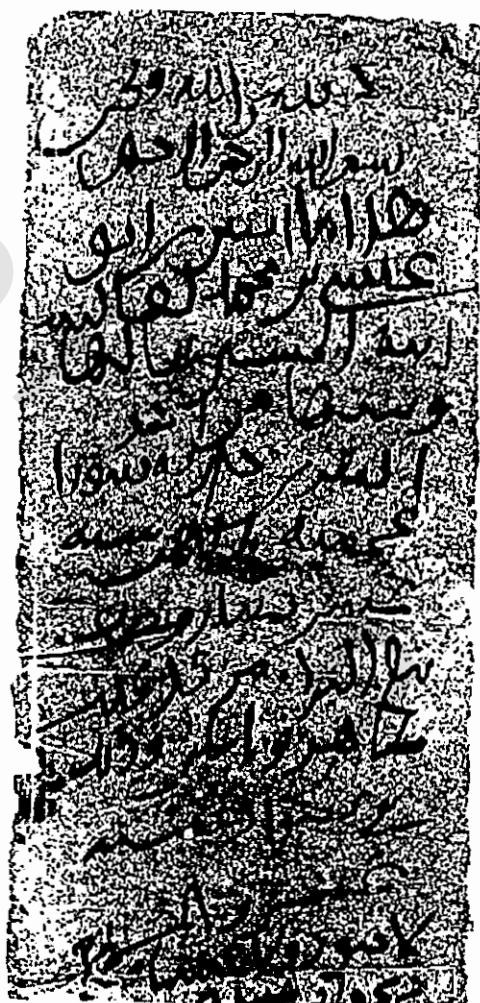
٤- وثيقة عتق رقبة جارية نصرانية

هذه الوثيقة النادرة محفوظة حالياً فى دار الكتب المصرية بالقاهرة - مؤرخة فى شهر رمضان سنة ٣٩٣ هـ..

نص الوثيقة

- ١- هذا الكتاب صحيح وكتب إبراهيم بن
- ٢- بسم الله الرحمن الرحيم توكلت على الله
- ٣- تقول أسطور هيوه ابنت سرجه بن أبليده فى صحة عقلها و

- ٤- بدنھا وجواز أمرھا طایعہ غیر مکرہ ولا مجبرہ طیبہ
- ٥- بذلك نفسها صحیحة البدن كاملة العقل أنها اعتقت
- ٦- صفراء بالعربية واسمها بالقبطية دجاشه ابنت
- ٧- أرنيه جارية أسطور هیوه اعتقت هذه الصبية
- ٨- عتاقة العبيد من موالیهم وملكت نفسها فمتا إدعا
- ٩- ولد لاسطور هیوه أو أحد من تركتها على هذه الصبية
- ١٠- دجاشه بشيء بعد هذا الكتاب بشيء من الخدمة أو شيء
- ١١- من المملكة فدعواه باطل وزور وإفك وعدوان
- ١٢- وكتب ذلك في سلخ رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة
- ١٣- شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيدا
- ١٤- شهد الحسن بن إبراهيم بن علی بن جبریل بن الحسن بن رائق
- ١٥- بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه
- ١٦- شهد عبد الرحمن بن الشارك بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه
- ١٧- شهد فضالة بن علی بجميع ما في هذا الكتاب وكتب
- ١٨- بخطه.



لوحة رقم (٢)

